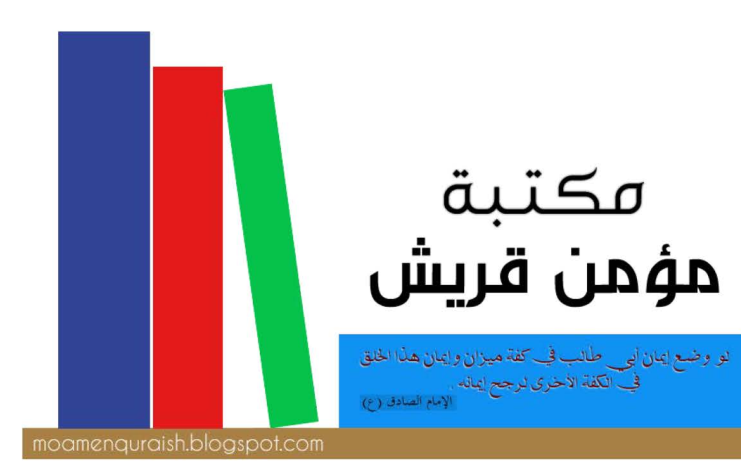


دراسة في البنية التحتية لنهضة الإمام الخميني (قده)

السيد حسن النمر
الصائغ الموسوي

دار الولاء
بيروت - لبنان



مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

دراسة في البنية التحتية
لنهضة الإمام الخميني قدّس سرّه



لبـنان - بيـروت - برج البراجنة - الرويس - شارع الرويس
تلفاكس: 00961 1 545133 - 00961 3 689496 - ص.ب. 25/307
www.daralwalaa.com - info@daralwalaa.com
E-mail:daralwalaa@yahoo.com

ISBN: 978-9953-546-48-3

اسم الكتاب: دراسة في البنية التحتية لنهضة الامام الخميني قدس سره

المؤلف: السيد خسن النمر "الصائغ الموسوي"

الناشر: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الاولى: بيروت ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

دراسات قرآنية

٢

دراسة في البنية التحتية لنهضة الإمام الخميني قدس سره

بقلم

السيد حسن النمر "الصائغ الموسوي"

دار الولاء

بيروت _ لبنان


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

تتفاوت الأزمنة والأمكنة من حيث أهميتها وانعكاساتها على مسيرة التاريخ، وكذلك يتفاوت الناس في دورهم في السيرورة التاريخية. فليس الناس سواء من حيث النشاط والخمول، وليسوا سواء في الدوافع والمقاصد، وليسوا سواء في التفاعل والتفعيل.

ولا نبالغ إذا قلنا إن الإمام الخميني قدس سره والفترة التاريخية التي عاصرناها معه استثنائيان بمعنى الكلمة، حتى أننا، والعالم أجمع ، أصبحنا نحقِّب الأحداث بما قبل نهضة الإمام وما بعدها.

لذلك يجب الوقوف على ظاهرة الإمام الخميني قدس سره ودراستها بكل تجرد وموضوعية، إذا ما أردنا استثمار هذه النهضة لاستلهام الدروس والعبر في زمن كثرت فيه الانتكاسات والتراجعات في غير صعيد.

وقبل الدخول في صلب الحديث يجب التنبيه إلى أن كثيراً من الناس، بما فيهم محبُّون للإمام وأنصار لنهضته، يقصُرون أنظارَهم على دراسة نهجه وتراثه السياسي، على مستوى الإنجاز والشعار والتداعيات، بعيداً عن جوانب تشكل بنى تحتية لا يمكن إغفالها للباحث الجاد والموضوعي. وفي تقديري أن في ذلك إجحافاً كبيراً بالإمام الخميني قدس سره وبنهضته معاً.

فقد اختلف الإمام مع فريقين اثنين:

الفريق الأول: أغلب أهل السياسة

الفريق الثاني: بعض علماء الدين

فبالنسبة للفريق الأول يعتقد كاتب السطور جازماً أن الإمام قدس سره ليس ثائراً سياسياً صرفاً، سعى فحسب إلى إحداث تغيير سياسي في هرمية الدولة، ليطيح بـ(الشاه) ويحل محله (الفقيه)، وليقوِّض (إمبراطورية) ويقيم (جمهورية إسلامية)، ليس هو كذلك بقدر ما هو صاحب مشروع نهضوي شامل أراد من خلاله إحداثَ تغييرٍ جذريٍّ، على مستوى العقول والنفوس في الأفراد والجماعات، لينعكس هذا التغييرُ في موجاتٍ سطحيةٍ يكون التغييرُ السياسيُّ أحدَ مظاهرِها.

وبطبيعة الحال، فإن هذه النظرة هي التي جعلت الإمام قدس سره يُقدِم على خطوات قُرِئت غير محسوبة من قبل مخالفيه بل حتى من مؤالفيه من السياسيين أحياناً، وينجز خطوات هائلة غير متوقعة في أنظار هؤلاء وأولئك.

وأما بالنسبة للفريق الثاني فقد شيّد الإمام قدس سره بنيانَ نهجٍ متميّزٍ في قراءة الإسلام نظرياً، وتجسيده عملياً، يختلفُ قليلاً أو كثيراً، مع الأنماط السائدة من موروثنا الإسلامي الذي ساد عقوداً بل قروناً.

هذه النظرة طبعاً لا تعني أبداً أن الإمام قدس سره جاء ببدع من القول، كما حاول معارضوه الإيحاء به والتركيز عليه إمعاناً في تشويه حركته، وذلك لأن كل ما أورده من أفكار ورؤى وإن كان جديداً على فئات وشرائح واسعة من أبناء الأمة ونخبها، فهو يحظى بأصالة على مستوى المضمون، لأن الإمام:

أولاً ـــ هو من الدعاة المتشددين إلى «**الفقه التقليدي ونهج الاستنباط المتعارف والمألوف في الحوزات العلمية**»[1].

---

(١) منهجية الثورة الثورة الإسلامية — مقتطفات من أفكار وآراء الإمام الخميني قدس سره، إصدار مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام، الطبعة الأولى ١٩٩٦م. وقد اعتمد معدو الكتاب على ٥٧٠ مصدر من مقابلة أو خطاب ونحو ذلك.

ثانياً ــ هو إلى ذلك فقيه مرموق تبوأ سُدة المرجعية الدينية التي لا ينالها إلا ذو حظ عظيم ممن شهد لها أعلام الأمة وأساطين الفقهاء بالأهلية والكفاءة، ولا يشك اثنان من العارفين والمنصفين أن الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه كان نجماً ساطعاً في سماء الفقاهة والمرجعية.

ويجب أن نلفت النظر أيضاً إلى أننا حينما نشيد بالإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه وفكره فلا يحق لنا أن نجعل ذلك سبباً لازدراء آخرين تبنوا وجهات نظر ورؤى مغايرة فَرَضت عليهم موضوعياً أن يختطوا لأنفسهم نهجاً مغايراً، فالاختلاف لا يفسد للود قضية. وهكذا كان رَحِمَهُ الله شديد الاعتزاز والاحترام للفقهاء الأتقياء والمراجع العدول مهما اختلفوا معه نظرياً.

لذلك إذا أردنا فهم الثورة الإسلامية، التي هي ليست سوى تعبير عمليٍّ عن الفكر النهضوي للإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه، فإن علينا أن نرجع إلى الوراء لنستكشف خلفيات وجذور النهضة[1].

وأعتقد جازماً أن البعد الفكري بكل أبعاده وتفاصيله وأسسه ومبانيه التي آمن بها الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّه ونظّر لها

(١) كتب سماحة الشيخ عباس علي عميد زنجاني، قبل ما يزيد عن خمسة عشر عاماً دراسة موسعة بعنوان (ريشهاي انقلاب اسلامي) ليست بين يدي حالياً.

وروّجها في خطاباته وكتاباته ودروسه، هو المنبع الثرّ الذي فاخر به قدس سره وأكّد عليه.

وسأقف بإيجاز شديد في هذه الوريقات، وبمناسبة الذكرى التاسعة عشرة للرحيل الملكوتي للإمام الخميني قدس سره [1]، على بعد واحدٍ من أبعاد البنى التحتية لنهضته، وهو نظرته للقرآن الكريم، الذي أكّد مراراً وتكراراً أنه مصدر إلهامه في كل ما آمن به.

وذلك ضمن مسائل، مقدِّماً لذلك بتمهيدٍ عن نظرته قدس سره إلى الإسلام، وإلى الأمة، فأقول:

(١) كنتُ قد دوَّنت هذا البحث في العام ١٤٢٨هـ، استجابة لطب بعض المشايخ الأعزاء، والذي عزم على نشر ملف فكري عن الإمام الخميني قدس سره بمناسبة مرور تسعة عشر عاماً على رحيله الأليم، غير أن الأقدار شاءت أن يعتذر صاحبنا الشيخ عن نشرها لأسباب، فبقيت الأوراق حبيسة الحاسوب إلى أن قيض الله تعالى أسباب نشرها، بعد سنتين من تدوينها، والحمد لله فقد كان الخير فيما وقع.

التمهيد:

الإسلام في المنظومة الفكرية للإمام

١ـ كان قدس سره شديد الإيمان بالإسلام على المستويين النظري والعملي، فلم يكن يؤمن بأن الإسلام مجرد معتقَدٍ دينيٍّ يقف عند حدود الإذعان النفسي والتصديق العقلي، بل يجب أن يتجاوز هذا وذاك إلى التطبيق الحي والفاعل على مستوى الأقوال والأفعال، وعلى «**الصعيدين الفردي والاجتماعي**»[1]. وليس معقولاً ولا مقبولاً تحييد الإسلام وتعاليمه عن واقع الحياة، ويعبر عن ذلك بأنه ليس سوى نموذج لـ(الدعايات البلهاء)[2] أو أنه تجسيدٌ صارخٌ لـ(**ادعاء بليد**)[3].

ولا فرق في رؤيته بين أن يطرح ذلك من قِبَل الأعداء الخبثاء أو الأصدقاء البسطاء من «**بعض رجال الدين والمتدينين غير العارفين**»[4]، ليترجم هؤلاء قناعاتِهم تلك

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٤٨.

(٢) م ن ، ص ٤٧.

(٣) م ن، ص ٤٨.

(٤) م ن، ص٤٧ .

باعتبار أن **«التدخل في شؤون الحكم والسياسة»** يعد **«معصيةً وفسوقاً»**[١].

ويبرر ذلك ويستشهد له بأن مثل هذه الدعوى أشبه ما تكون بالدعوة إلى استبدال (العقلية والرياضية)[٢] بقواعد أخرى في العصر الحالي.

وهي قراءة تختلف عن قراءة كثيرين لطبيعة التعاليم الإسلامية، فهذه التعاليم في نظره مبنيةٌ على مصالح حقيقيةٍ وواقعيةٍ لا تقبل التغيير والاستبدال حسب تبدل الزمان وتغير والمكان.

ولكنه في الوقت قدس سره لا يدَّعي أبداً أن جميع تفاصيل الأحكام الفقهية لا تقبل التبديل والتغير، ففي تلك الأحكام ما هو ثابت وفيها ما هو متغير، لذلك فهو يصرِّح بأن للزمان والمكان أثراً على الأحكام، على تفصيل في النظرية وأبعادها، لا يسعنا الدخول فيه.

٢ـ وكان إلى ذلك قوي الإيمان بقدرة الأمة على التغيير، في وقت كان الإحباط هو الحاكمَ على نفوس الكبار

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٤٨.

(٢) م ن، ص ٤٨.

والصغار، وفي عقول العلماء والعوام معاً، ومن أقواله قدس سره في هذا الصدد: «**اعلموا أن قدرتكم المعنوية غالبةٌ على جميع القوى و يمكن لعددكم البالغ قرابة المليار إنسان مع ذخائر لا نهاية لها أن يحطم جميع القوى. انصروا الله ينصركم**»[1].

---

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٢٠١.

المسألة الأولى: عظمة القرآن

للقرآن الكريم في فكر الإمام الخميني قدس سره دورٌ لا يساويه مصدرٌ آخر، فهذا القرآن هو المصدر الرئيس لكلٍّ من المحاور الثلاثة التي يتشكل منها الإسلام في بناء مفاهيمه وبرامجه، أعني:

١ ــ **الرؤية الكونية**، وهي مجموعة الأفكار التي تتعلق بفهم الكون وما فيه.

٢ ــ **التشريع**، وهو مجموعة القوانين المنظِّمة للعلاقات بين الخلق والخالق وبين الخلق والخلق.

٣ ــ **القيم السلوكية**، وهي منظومة المعارف والأطر التي تحدد ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان على مستوى المشاعر والعواطف وما ينبثق منها من سلوكيات.

فالقرآن ـ إذن ـ شامل لكليات هذه المحاور وأمهات مسائلها، على تفاوت في معالجته لمسائلِ كلِّ محورٍ منها.

ولأهمية هذا الدور التربوي الهام يرى الإمام الخميني قدس سره أن «**أحد أهداف البعثة هو إنزال هذا القرآن**»[1]، بل إنه

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٩٢.

يترقى في موضع آخر ليجعله «**الغرض من البعثة**»[1].

وتكمن أهمية القرآن وعظمته في: «**أن عظمة كل كلام وكل كتاب إما:**

١ ــ بعظمة متكلمه وكاتبه.

٢ ــ وإما بعظمة مطالبه ومقاصده.

٣ ــ إما بعظمة نتائجه وثمراته.

٤ ــ وإما بعظمة الرسول والواسطة.

٥ ــ وإما بعظمة المرسَل إليه وحامله.

٦ ــ وإما بعظمة حافظه وحارسه.

٧ ــ وإما بعظمة شارحه ومبيِّنه.

٨ ــ وإما بعظمة وقت إرساله وكيفية إرساله.

... وجميع هذه الأمور التي ذكرناها موجود في هذه الصحيفة النورانية»[2] أي القرآن الكريم.

فنحن إذن بين يدي كتاب لا نظير له من حيث الذات ولا

(١) منهجية الثورة الإسلامية ص ٩١.

(٢) م ن، ص ٧٩.

من حيث الدور، فالقرآن الكريم - في نظر الإمام الخميني قدس سره - إلى جانب بعده الشمولي على المستوى المعرفي، خطابُ الله تعالى لجميع الناس، أي إنه خطابٌ متعالٍ على الزمان والمكان، وكل ما يرجع إليهما من عناوين أخرى، وهذا يعطي للقرآن الكريم، وبالتالي للإسلام، شموليةً وجامعيةً، يمكن الإشارة إليها بـ «**أن القرآن نزل لجميع طبقات الإنسان في جميع أدوار العمر البشري**»[1].

المسألة الثانية: الدور الوظيفي للقرآن

تقدم في المسألة الأولى أن للقرآن عظمةً تكمن في جامعيته المعرفية للمحاور الثلاثة. وأهمية تلكم المحاور تكمن في أن أحداً من الناس لا يمكن أن يستغني عن أن ينطلق من:

١ ـ **محور الرؤية الكونية**، ليؤسس على ضوئها ومن خلالها موقفاً فكرياً عن الكون والذات والآخر. ولينظم بعد ذلك وعلى أساسها:

٢ ـ **محور التشريع**، الذي يبني على أساسه علاقاته الإيجابية والسلبية مع الكون والذات والآخر (الحلال

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٩٠.

والحرام، الصحة والفساد ...).

٣ ــ **محور القيم**، التي ينظم وفقاً لها ميوله تجاه الكون والذات والآخر، فيحب تارة ويبغض أخرى.

هذه محاور أو مسارات ثلاثة عمل القرآن على تأمين حاجة الإنسان فيها، فلنستعرض كيف يقرأ الإمام الخميني قدس سره ذلك، مع التأكيد على أن المصدر الرئيس لفكر الإمام قدس سره هو القرآن الكريم في الدرجة الأولى، والسنة المطهرة في الدرجة الثانية. وفي ذلك يقول قدس سره عن القرآن: «**إن معتقداتي، أنا وجميع المسلمين، هي نفس تلك المسائل المطروحة في القرآن الكريم**»، والتي بيّنها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمة الحق عليهم السلام الذين جاؤوا من بعده[1].

فإذا عرفنا أن معارف الإسلام تتوزع على أصول وفروع، يتشكل منها تلكم المحاور الثلاثة، فسنعالج رؤيته ضمن البنود التالية:

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٣.

المحور الأول: الرؤية الكونية

أ ـ أصل التوحيد ومعطياته

يأتي في صدارة تلك المعتقدات (أصلُ التوحيد). ويقرأ الإمام قدس سره هذا الأصل من زاويتين:

١ ـ الزاوية النظرية والتحليلية

في هذه الزاوية يرى أن (التوحيد) هو «**أساس جميع تلك الاعتقادات**»[١]، ومن ثم سيكون (أهمّ وأغلى عقائدنا[٢]).

وأما مضمونه فيفسره قدس سره بأنه يعني: «**أن الذات الإلهية المقدسة وحدها هي التي خلقت هذا العالم وكلَّ عوالم الوجود والإنسان، وأنها مطَّلعةٌ على جميع الحقائق، وقادرةٌ على كل شيءٍ، ومالكةٌ لكل شيءٍ**»[٣].

ويؤكد قدس سره على أن الإسلام يعيد: «**جميع المحسوسات وجميع العالم إلى مرتبة التوحيد**»[٤].

---

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٣..

(٢) م ن.

(٣) م ن.

(٤) م ن، ص ١٣٢.

وفي جولة من جولات عطائه الفكري يؤسس قاعدة مفادها: «**أن الكامل من جميع الجهات . . . وما هو صرف الكمال والخير لا بد أن يكون بسيطاً من جميع الجهات**»[١]، هذا البسيط من جميع الجهات لا يمكن أن يكون فيه تعدد وكثرة فهو: **بريء من التركيب بصورة مطلقة**»[٢]، وهذا البسيط البريء من كل تركيب هو (الحق)[٣] تعالى.

٢ ـ الزاوية العملية

في الزاوية العملية يرى قدس سره أن لـ(التوحيد) معطيات نهضوية، نقتصر على اثنين:

الأول: الحرية

ويشرح هذا المعطى بقوله: «**يعلمنا هذا المبدأ أنه يجب على الإنسان أن يخضع للذات الإلهية الحقة فقط، وأن لا يطيع أي إنسان إلا أن تكون طاعته طاعةً للخالق**»[٤].

فلسنا في رؤيته التوحيدية أمام تنظير لاهوتي مجرد، ولسنا أمام ترف فكري لا انعكاس له على الواقع، بل أمام

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ١٢.
(٢) م ن، ص: ١١.
(٣) م ن، ص ١٢.
(٤) م ن.

رؤية كونية تتفاعل وتفعَل في حياة متبنيها، لتؤجج في وجدانه عشقاً لا نهاية له للحرية التي هي ركن ركين من أركان النهضة الخمينية، والتي صارت أحد الأضلاع الثلاثة للثورة إلى جانب الجمهورية والاستقلال. ويقول قدس سره في هذا الصدد: **نتعلم من هذا الأصل العقائدي مبدأ حرية الناس، وأنه لا يحق لأي إنسان أن يسلب حرية إنسان آخر أو مجتمع معين، فيضع له القانون، أو ينظم له علاقاته وسلوكه بموجب علمه وإدراكه**(١). ويعلل ذلك بأن الإنسان في نفسه غير مؤهل لهذا الدور لأن إدراكه وعلمه ناقصان ومحدودان جداً(٢).

ويصر قدس سره على أن لسلب الإنسان حريته تداعيات على مستوى رقيه فالنتيجة الطبيعية لذلك هي «**انحطاط الإنسان وسقوطه**»(٣). وعليه، يبني موقفَهُ من ضرورة بناء التوحيد في نفوس الأحرار الذي من شأنه الدفع به إلى: **أن يثور ضد سلاسل القيود وقيود الأسر ... ويحرر نفسه ومجتمعه، حتى يكون الجميع عباداً لله وخاضعين له**(٤).

(١) منهجية الثورة الإسلامية.

(٢) م ن.

(٣) م ن.

(٤) م ن، ص ٣-٤.

الثاني: التشريع والحكم لله وحده

في هذا المعطى يؤكد ﷺ أن الإنسان الذي ينشد الكمال من خلال فطرة التكامل لا بد له من تشريع ينظم سيره العملي نحو «**الكمال المطلق الذي هو معشوق الجميع**»[١]. وهذا الكامل هو «**الحق**»[٢] تعالى. فلا يوجد تشريعٌ كاملٌ إلا من الكامل لأن فاقد الشيء لا يعطيه. وسيكون تشريع الإنسان للإنسان تقييداً لحريته التي لا يجوز لأحد من الناس فعله إلا بإذن الولي المطلق الذي هو الله تعالى.

ب ـ أصل النبوة، والإمامة، وثمراته

في هذا الأصل ينطلق الإمام قدس سره من مبدأ يؤمن به الجميع وهو شعور الإنسان بنقصه على مستوى ذاته من جهة ونشدانه للكمال من جهة ثانية وقدرته على التكامل من جهة ثالثة[٣].

وبلحاظ أن هذا الإنسان مكون من مادة ومعنى، أو ملك وملكوت، يرتبط أحدهما بالآخر على مستوى التأثير والتأثر، فلا بد أن يتوفر الساعي نحو الكمال على توازن في

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٤.
(٢) م ن، ص ١٢.
(٣) م ن، ص ٤٣.

تأمين احتياجات بعده الملكي وبعده الآخر الملكوتي.

وعلى أساس هذا تنشأ الحاجة إلى النبوة. لأن نمو الإنسان وتكامله يختلف عن نمو الحيوانات وتكاملها، التي لا تحتاج إلى الأنبياء، لأن «**لها حدوداً حيوانيةً فقط**»(١).

ويمكن أن نسوق أدلته قُدِّسَ سِرُّه على ضرورة النبوة في ما يلي:

المقدمة الأولى: الإنسان موجود نام متكامل، «**فالإنسان يعيش مثل الحيوانات ويأكل مثلها . . .**»(٢).

المقدمة الثانية: تكامل الإنسان يتجاوز حدود الطبيعة وصولاً إلى الغيب، فـ(للإنسان مستوى فوق الحيوان)(٣).

المقدمة الثالثة: الإنسان عاجز عن تجاوز عالم الطبيعة بنفسه، على المستوى النظري والفكري «**فالإنسان لا يمكنه أن يدرك سوى عالم الطبيعة**»(٤). وعلى المستوى العملي فـ«**أي عمل نؤديه هنا له صورةٌ برزخية وصورة ملكوتية**»(٥).

---

(١) منهجية الثورة الإسلامية.

(٢) م ن، ص ٤٣.

(٣) م ن، ص ٤٣.

(٤) م ن، ص ٤٥.

(٥) م ن، ص ٥٥.

النتيجة: حاجة الإنسان إلى جهة ارتباط بين عالمي المادة والغيب، وهي النبوة، فـ«**إننا بحاجة إلى الأنبياء لأننا لسنا مثل الحيوانات**»[١].

وقد امتاز هؤلاء الأنبياء عليهم السلام بسمتين أساسيتين:

الأولى: نظرية ومعرفية

فهم: **يعرفون الطريق و [العقبات]**[٢] أي مقتضيات التكامل وموانعه.

الثانية: عملية وسلوكية، فليس كل من دعا إلى الحق كان أهلاً لتجسيده على أرض الواقع، فقد يكون غير نزيه في دعوته، أما الأنبياء فقد توفروا على أعلى درجات النزاهة والمصداقية، فقد: **بذلوا مهجهم من أجل خلاص الناس**[٣].

وحينما يؤكد الإمام في فكره على أصل النبوة، فهو من الناحية النهضوية يرى استحالة تحقيق النهضة الحقيقية التي تتناغم ومتطلبات الإنسان الواقعية إلا في ظل العبودية

---

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٤٣.

(٢) في المصدر المترجم عن الفارسية جاء (العواقب)، والصحيح - في ما أحسب - هو ما أثبتناه في المتن، لأنه الأنسب بالسياق.

(٣) م ن.

لله في ظل أصل التوحيد أولاً، وفي ظل الاستهداء بالنبوة في أصل النبوة ثانياً، هذا الأصل الذي من شأنه تعريف الإنسان بما يجب عليه أن يعرفه، والإذعان والإيمان بما يجب عليه أن يؤمن به ويذعن له، فـ«**إن جميع الأديان النازلة من الخالق تباك وتعالى، وجميعَ الأنبياء العظام الذين أمروا بالإبلاغ، إنما جاؤوا من أجل راحة الإنسان وبنائه**»[1]. ثم إنه قدس سره يؤكد على ذلك إنما يتم فقط في ظل (معرفة الله[2]، التي هي في جوهرها «**رفع الحجاب عن تلك النقطة الأصلية الموجودة في فطر جميع الناس**»[3].

وهو يرى «**أن جميع القوى [المتحكمة في العالم] وسائر الدول [القائمة] لا تبالي بمعنويات الناس**»[4]. لأنها والقائمين عليها «**لا يهتمون إلا بالمحافظة على دنياهم، والمحافظة على أنظمتهم**»[5].

ومثل هذا القصور في الاهتمام والعناية يكشف عن عدم مبالاة بـ«**الذات الباطنية للإنسان**»[6]. وهو يكشف

---

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٤٩.

(٢) م ن.

(٣) م ن.

(٤) م ن.

(٥) م ن.

(٦) م ن.

إلى ذلك أن مخرَجات هذه الأنظمة لن تكون توحيدية وبالتالي لن تكون إنسانية، أي إنها عاجزة عن السير بالإنسان إلى حيث الكمال. وفي ذلك يكشف قُدِّسَ سِرُّهُ عن قدرة البعد التوحيدي في الديانات على صنع الإنسان التقي والنقي فيقول:

«**لا يوجد قانون من القوانين غير التوحيدية يمنع الإنسان من بعض الممارسات حتى لو كان في صندوق مغلق**»[١]. ويضيف متسائلاً: **هل إن رؤية الحكومات غير الإلهية تفي بمقدار سعة وجود الإنسان وقابلية رشده؟**[٢]. ويؤكد أن «**جميع الأنظمة غير الإلهية والتي أقيمت بواسطة غير الأنبياء لها رؤية محدودة لا تخرج عن إطار هذه الطبيعة**»[٣].

فنحن إذن نحتاج إلى الأنبياء لأن لديهم، من خلال زرع التقوى في النفوس، القدرة على إنتاج إنسان أبعد ما يكون عن العدوان على الآخرين، ولو (**بمقدار إبرة**[٤]). لذلك أصر رحمه الله على البعد التوحيدي في نهضته، والتي

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٤٩..
(٢) م ن، ص ١٢٨.
(٣) م ن، ص ١٢٩.
(٤) م ن، ص ١٣٥.

يجب أن تظل حاضرة في كل ممارسة يقوم بها أي منتم لهذه المدرسة، ولا يهم بعد ذلك أن يتحقق الإنجاز على يَدَيه أو على يدي غيره، وأن يكون ذلك في زمنه أو في زمن لاحق. وإنما المهم أن يكون العمل مرضياً ومقبولاً.

الإمامة الامتداد الطبيعي للنبوة

لأن الأسباب والمبررات التي سيقت لضرورة النبوة لا تنحصر بزمان دون آخر ولا بمكان دون مكان، ولـ«أن **القوانين والأحكام الإلهية لا تنحصر بزمان الرسول صلى الله عليه وآله فقط**»[1] كان لابد من القول بالإمامة التي هي: **أن يعيِّن الخالقُ شخصاً يعلم قوله وقول رسوله بالتفصيل، ودون أي نقيصة أو زيادة**[2].

إن هذا التعيين يحكم به العقل والنقل معاً، خصوصاً إذا لاحظنا ما يجب أن يتوفر عليه الإمام من سمات وصفات تجعله ضرورة إذا ما أريد للقرآن أن يُفهَم، وللإسلام أن يطبق، فهذا الإمام يجب أن يكون من: «**لا يخطئ ولا يغلط في تطبيق القوانين الإلهية، ولا يكون خائناً ولا كذّاباً ولا ظالماً ولا منتفعاً ولا طماعاً ولا طالباً للرئاسة والجاه، ولا**

---

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ١١٥.

(٢) م ن.

يتخلف بنفسه عن القانون، أو يأمر الناس بالتخلف، ولا يستأثر بنفسه وبمصالحه عن سبيل الله وسبيل دينه»[١].

جـ ـ أصل المعاد

ثالث الأصول التي يبني الإمام الراحل رؤيته على أساسها هو المعاد. الذي يعني أن الناسِ يرجعون إلى الله ليحاسبهم على أفعالهم ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦]. وللإمام وقفات طويلة ومعمقة حول المعاد يطول بنا المقام لو أننا استقصيناها، فندعها لمجال آخر.

لكنه ـ بإيجاز ـ يؤكد أن للقرآن دوراً أساسياً في التعرف على عالم المعاد فهو، أي القرآن، تكفل بيانَ **«أحوال المعاد والبراهين لإثباته، وكيفية العذاب والعقاب والجزاء والثواب، وتفاصيل الجنة والنار والتعذيب والتنعيم»**[٢].

ونخلص من كل هذا: أن الإمام الراحل قدس سره يجد في القرآن الكريم مَعِيناً لا ينضب لرؤية كونية شاملة وكاملة، لا غنى للإنسان عنها إن هو أراد الخير والكمال.

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ١١٥.

(٢) م ن، ص ٨٧.

المحور الثاني: التشريع

إذا انتقلنا إلى محور التشريع فسنجد الإمام قدس سره يؤكد على مرجعية القرآن الكريم في هذا الصدد فمن مقاصده «**بيان قوانين ظاهر الشريعة والآداب والسنن الإلهية**»[١]. ثم يوضح ما يمكن أن يكون مثار شبهة لدى من لا يعرف حقيقة دور القرآن والسنة، وهو أن القرآن بيّن قوانين الشريعة والآداب والسنن في حدود «**كلياتها ومهماتها**»[٢]. ولكنه بقي «**الدستور الأعظم لحياة البشر وشؤونهم المادية والمعنوية**»[٣].

المحور الثالث: زرع القيم

في هذا المحور نواجه أزمة لا تزال تعاني منها مناهج التربية والتعليم على مستوى العالم وعبر التاريخ، فالقرآن الكريم ليس أطروحة نظرية كما يفعله بعض المتفلسفة والمتحذلقة ممن يمارسون التنظير ولا يهمهم بعد ذلك أن تكون أفكارهم نابعةً من الواقع أو ذات تأثير عليه.

---

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٨٧.

(٢) م ن.

(٣) م ن، ص ٧٧.

إن القرآن الكريم، الذي هو وديعة الله ورسوله، إنما جاء ليهدي الناس إلى صراط مستقيم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور. ولن يكون ذلك قابلاً للتحقق في غير الراغبين في الخروج من عالم الظلمات فـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد:١١].

لذلك عمل القرآن بألسنة شتى على زرع القيم وتزكية النفوس وجعل ذلك محوراً رئيسياً من محاوره، فهو «**كتاب الهداية، هادي سلوك الإنسانية، ومربي النفوس وشافي الأمراض، ومنير طريق السير إلى الله**»[١]. بل يمكن القول:(**إن القرآن لم ينزل لشفاء الأمراض الجسمانية، وإن كان يحصل به، كما أن الأنبياء عليهم السلام لم يبعثوا للشفاء الجسماني، وإن كانوا يشفون، فهم أطباء النفوس، والشافون للقلوب والأرواح**»[٢].

وأما كيف تم ذلك فمن خلال: «**الدعوة إلى تهذيب النفوس وتطهير البواطن من أرجاس الطبيعة، وتحصيل السعادة. وبالجملة، كيفية السير والسلوك إلى الله**»[٣].

---

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٨٢.

(٢) م ن، ص ١١١.

(٣) م ن، ص ٨٣.

وذلك عبر العمل على شعبتين:

إحداهما: التقوى بجميع مراتبها المندرجة فيها التقوى عن غير الحق والإعراض المطلق عما سوى الله.

وثانيهما: الإيمان بتمام المراتب والشؤون المندرجة في الإقبال إلى الحق والرجوع والإنابة إلى ذاته المقدسة[1].

---

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٨٣-٨٤.

المسألة الثالثة: القرآن باب معرفة الله

تعد (معرفة الله) الهاجس الأول للإمام الخميني قدس سره، فالله سبحانه في رؤيته المعرفية هو المعشوق الوحيد للإنسان ولكل موجود، وذلك أن الإنسان له فطرتان[1]:

١ ــ فطرة حب الكمال

٢ ــ فطرة النفور من النقص

وعليه، فلا يمكن للإنسان إلا أن يكون محباً وعاشقاً لله تعالى الذي هو «**هوية مطلقة، والهوية المطلقة يجب أن تكون كاملة مطلقة، وإلا كانت محدودة، ولم تكن مطلقة، فهو مستجمع لجميع الكمالات**»[2].

وينتهي إلى:

أ ـ أن «**جميع أهداف الأنبياء تعود إلى كلمة واحدة، وهي معرفة الله**»[3]. الذي يتوقف بدوره على:

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ١٠.

(٢) م ن، ص ١٠.

(٣) م ن، ص ٤٩.

ب ـ «**الخروج من الحجب المظلمة**»[١].

وهاتان المهمتان قرآنيتان بامتياز فـ«**لو لم يكن القرآن موجوداً لأغلق باب معرفة الله إلى أبد الآبدين**»[٢]، ثم إن عرفان القرآن «**لا يمكن العثور عليه في أي كتاب آخر**»[٣]. كما أن القرآن هو «**أنجع علاج منقذ للإنسان من القيود المكبِّلة لرجليه ويديه وقلبه وعقله**»[٤].

لذلك فالقرآن في فكر الإمام الخميني قدس سره، الذي استقاه من القرآن نفسه ومن السنة المطهرة، هو «**الوديعة الإلهية وتركة رسول الإسلام صلى الله عليه وآله**»[٥].

وتتفاوت المسائل التي عالجها القرآن الكريم في أهميتها. ولا جدال في أن أهمها هو ما يرجع إلى التعريف بالله تعالى الذي أشرنا إلى بعض معالمها في سياق حديثنا عن أصل التوحيد. وفي ذلك يصرح الإمام الخميني قدس سره أنه «**لو لم يكن القرآن موجوداً لأغلق باب معرفة الله إلى أبد الآبدين**»[٦].

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٤٩..
(٢) م ن، ص ٦٨.
(٣) م ن، ص ٦٨
(٤) م ن، ص ٧٩.
(٥) م ن، ص ٧٥.
(٦) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٦٨.

فهو ـ إذن ـ النافذة على عالم الغيب الرباني الذي لا بد لنا أن نتعرف عليه، كل حسب طاقته، لأن «**معرفة الله لا يستطيع الوصول إليها ملكٌ مقربٌ ولا رسولٌ مرسلٌ**»[1].

(١) م ن، ص٦٨.

المسألة الرابعة: تعطيل القرآن وهجره

الأزمة والحل

أ ــ الأزمة

إذا كان للقرآن كل تلك العظمة، كما أشرنا إليه في المسألة الأولى، وذاك الدور الذي بيّناه في المسألة الثانية، وهو باب معرفة الله تعالى كما في المسألة الثالثة، فمن شأن قرآن كهذا أن يصنع أمة لا تُضارع ولا تُنافس، فكيف ـ إذن ـ بقيت هذه الأمة عبر تاريخها خاملة غير فاعلة، إلا في فترات محدودة جداً ؟

الجواب: هو أن الإمام الخميني قدس سره يرى أن القرآن تعرض لمشكلتين كبيرتين:

المشكلة الأولى: هجر القرآن

إن الغالبية العظمى من المسلمين لم يتعاملوا مع القرآن الكريم كما يجب، بسبب أنهم لم يقدروه قدره، والمصيبة هنا عامة لم تقتصر على المسلمين، فـ: «**ما أصاب البشرية**

لهجرها حقائق المقام العالي للثقل الأكبر»[١] يفوق حد التصور.

ويقول في هذا الصدد: «إن مهجورية القرآن لها مراتب كثيرة ومنازل لا تحصى، ولعلنا متصفون بالعمدة منها»[٢]. ثم يشرح ذلك بقوله:

«أترى أننا إذا جلّدنا هذه الصحيفة بجلد نظيفٍ وقيِّم، وعند قراءتها أو الاستخارة بها قبَّلناها ووضعناها على أعيننا أنكون ما اتخذناه مهجوراً ؟!

أترى إذا صرفنا غالب عمرنا في تجويده وجهاته اللغوية والبيانية والبديعية أنكون قد أخرجنا هذا الكتاب الشريف عن المهجورية ؟!

هل إننا إذا تعلّمنا وجوه إعجاز القرآن وفنون محسناته أنكون بذلك قد تخلصنا عن شكوى رسول الله؟!»[٣].

ويبادر إلى الإجابة بقوله: «هيهات ... فإنه ليس شيءٌ من هذه الأمور مورداً لنظر القرآن ومنزله العظيم الشأن.

---

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٧٤.

(٢) م ن، ص ١٠٤.

(٣) م ن، ص ١٠٤.

إن القرآن كتاب إلهي وفيه الشؤون الإلهية»[١].

فالإمام ينتهي إلى أن كثيراً من مظاهر الاشتغال بالقرآن قد يكون مصداقاً من مصاديق هجره أعاذنا الله من ذلك. ولن نتخلص من هذه المشكلة بغير الرجوع إلى القرآن نفسه لنتعرف على نهج التعامل معه فهو كما يصف نفسه (نور)، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾ [المائدة:١٥]. أُمرنا باتباعه، كما قال: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٧].

ثم إن الإمام قُدِّسَ سِرُّه لا يخجل من القول: «**لم نتمكن نحن ولا البشرية ولا علماء الإسلام الاستفادة من هذا الكتاب المقدس بالمقدار الذي ينبغي الاستفادة منه**»[٢]. ليضعنا أمام مهمة كبرى بقدر ما نقصِّر فيها فإننا نعرِّض أنفسنا لمخاطر لا تعد ولا تحصى أفراداً وجماعاتٍ.

وليس من الأعذار الوجيهة أن يقال إن ذلك خاص

(١) منهجية الثورة الإسلامية..

(٢) م ن، ص ٩٢.

بالعلماء أو إنهم وحدهم القادرون على فهمه فـ«**القرآن نزل على نحوٍ يستفيد منه كلٌّ على حسب كمال إدراكه ومعارفه وضعفها، وعلى حسب ما له من الدرجة العلمية**»[١]. وذلك لأن القرآن هو «**مائدة أعدها الباري تبارك وتعالى للبشر بواسطة نبيه الأكرم، ليستفيد منها كلٌّ إنسان بمقدار استعداده**»[٢]. حيث «**يستفيد منه كل الناس: الجاهل والعالم، والفيلسوف والعارف والفقيه والكل يستفيدون منه**»[٣]. كل واحد منهم بمقدار سعته «**الوجودية والفكرية**»[٤].

نعم، يجب الإقرار بأن «**بعض الآيات لا يمكن أن يفهمها إلا رسول الله والمتعلم بتعليمه**»[٥]. وهذا ليس من باب الهجر، وإنما هو إقرار بالعجز، وهو هنا عين التواضع المحمود.

ولي هنا كلمةٌ خاصةٌ لنفسي ولطلبة العلم في الحوزة العلمية فأقول:

---

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٩٠.

(٢) م ن، ص ٩١.

(٣) م ن، ص ٩١.

(٤) م ن، ص ٩٢.

(٥) م ن، ص ٩٢.

إن علينا أن نتنبه إلى أن هذا الكلام الذي قاله الإمام الراحل، وأمثاله كثير في تراثه، لا ينبغي أن نغض الطرف عنه ولا أن نردده من باب العتب، أو من باب التواضع أمام الكتاب الذي لا يمكننا فهمه إلى الدرجة التي نبتلي فيها بهجران القرآن حتى على مستوى التلاوة فضلاً عن فهم ما كتب في التفسير، أياًّ كان تقييمنا له.

فنحن مكلفون بخدمة القرآن تلاوة وتدبراً وفهماً وتفسيراً وتطبيقاً لمضامينه ودعوةً إليها. وذلك يتطلب تفريغ وقت مناسب من كلٍّ منا. وليس من الأعذار الوجيهة الاشتغال بالمقدمة، مهما كانت أهميتها، عن ذي المقدمة.

المشكلة الثانية: تعطيل القرآن

هجر القرآن في الغالب تكون دوافعه ذاتية، أما تعطيل القرآن فيراد منه في الغالب العوامل الخارجة عن النفس والتي تفرض نفسها للنأي بالقرآن عن واقع الحياة.

وللإمام قدس سره وقفات كثيرة حمّل فيها الطواغيت والظلمة عبر تاريخ الأمة وزر السعي إلى تعطيل القرآن.

وهذا التعطيل لا يعني دائماً أنهم مارسوا إبعاداً ونفياً له، وإنما كان سعياً حثيثاً في تفريغ مضمون حضوره من المحتوى

«فقد استغل عباد الأنا والطواغيت القرآنَ الكريمَ، واتخذوه وسيلةً للحكومات المعادية للقرآن، وأبعدوا مفسري القرآن الحقيقيين والعارفين بالحقائق الحقة، ممن تعلّموا القرآن كله من الرسول ﷺ، أبعدوهم بذرائع شتى»[١].

ويضيف أنهم: عطلوا القرآنَ الكريمَ، إلى حدٍّ بدا وكأنه لا دور له في الهداية، وهو الكتاب الذي تنزل من مقام الأحدية السامي بالكشف المحمدي التام، هدى للعالمين[٢].

ولم يقف سعيهم البغيض ذاك عند هذا الحد، بل سعى فريقان تآزرا عبر تاريخ الأمم في الهيمنة عليها وسلب مقدراتها، أعني بهما (الحكام الطواغيت وفقهاء البلاط)، وفي ذلك قال قدس سره: «بلغ الانحراف درجة بحيث إن الحكومات الجائرة والخبثاء من فقهاء البلاط، وهم أسوأ من الطغاة، اتخذوا القرآن وسيلةً للظلم وترويج الفساد وتسويغ أعمال الظلمة والمعاندين لإرادة الحق تعالى»[٣].

---

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٧٦.

(٢) م ن، ص ٧٧.

(٣) م ن.

حتى أن القرآن الكريم أصبح بسبب الأعداء والجهلة: «**وسيلةً لإثارة الخلاف، أو عُطِّل كلياً**»[١].

ب ـ الحل

أما الحل فيكمن في رؤية الإمام قُدِّسَ سِرُّه في تفعيل حضور القرآن في الأمة، وذاك يتوقف على فهمه وعلى تفسيره، ولكلٍّ منهما شروط ومتطلبات، وفي طريق كلٍّ منهما موانع وعقبات.

١ ـ الموانع

لنقدم الحديث عن الموانع:

أ ـ يمكن القول إن أهمها (الأهواءُ النفسانيةُ)، «**فما دام الإنسان في حجاب نفسه فإنه لا يستطيع أن يدرك القرآن الذي هو نور**»[٢]. ومن كان كذلك «**لا يكون مؤهلاً لانعكاس هذا النور الإلهي في قلبه**»[٣]. ويؤمن بجزم أن ... **الهدف هو التزكية لأجل فهم الكتاب والحكمة**[٤].

(١) منهجية الثورة الإسلامية.

(٢) م ن، ص ٩٠.

(٣) م ن.

(٤) م ن، ص ٩٢.

والأهواء النفسانية هذه عنوان عريض ينتظم فيه جميع الرذائل الأخلاقية. ومن هذا المنطلق كان جهد الإمام جهيداً في تزكية النفوس وتهذيبها فلا يخلو خطاب من خطاباته ولا كتاب من كتبه ولا مجلس من مجالسه بالتذكير بالله تعالى والتأكيد على أهمية التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل. وأحسب أننا بغنى عن توثيق هذه الحقيقة بشواهد فحياته الخاصة والعامة حافلة بالدلائل والشواهد.

ب ـ ومن الموانع من فهم القرآن والاستفادة منه «**حجاب الآراء الفاسدة والمسالك والمذاهب الباطلة**»[١].

جـ ـ ومن الموانع من فهم القرآن التعبد بآراء المفسرين[٢].

د ـ ومن الموانع «**حجاب المعاصي والكدورات الحاصلة من الطغيان والعصيان**»[٣].

هـ ـ ومن الموانع والحجب «**حب الدنيا**»[٤].

و ـ ومن الموانع والحجب «**رؤية النفس**»[٥]، ويعني

---

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ١٠٣.

(٢) م ن، ص ١٠٥.

(٣) م ن، ص ١٠٦-١٠٧.

(٤) م ن، ص ١٠٧.

(٥) م ن، ص ١٠١.

بها (الأنا) وتضخمها بحيث يعتقد الإنسان أنه مستغنٍ وغير محتاج.

٢ ـ الشرائط:

يقر الإمام قدس سره بل يؤكد على إمكانية ذلك كل بحسب استعداده[١]. وهذا القيد ضروري لأن: «**تفسير القرآن ليس من المهام التي يستطيع أمثالنا أداء حقها**»[٢].

وهو يؤمن بتعدد مناهج الفهم والتفسير «**فمثلاً عمد العرفاء على مدى عدة قرون إلى كتابة تفاسير عديدة على وفق طريقتهم، وهي طريقة المعارف**»[٣]. ولكنه يقيم هذه الطريقة والمنهج بقوله: «**ولكن القرآن لا ينحصر في ما ألَّفوا، فما قاموا به هو قراءة بعض وجوه القرآن الكريم وقراءة بعض أوراقه**»[٤].

كما أنه يستعرض تفسير الجواهري وسيد قطب، وقبلهما الطبرسي في مجمع البيان، الذين اعتمدوا منهجاً مغايراً، لكنه يقيم طرائقهم، على جودة بعضها بأنها: «**ليست تفسيراً للقرآن بكافة معانيه، فهُم أيضاً كشفوا حجاباً**

---

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٩٢.

(٢) م ن، ص ٩٢.

(٣) م ن، ص ٩٢.

(٤) م ن، ص ٩٢.

واحداً آخر عنه»[١].

لينتهي إلى تقرير حقيقة لا تغيب أبداً عن ناظريه، وهي أن التفسير الجامع والكامل للقرآن لا يقوم به: «**غير أهل العصمة، وهم المعلّمون بتعليمات الرسول»**[٢].

ولا يغفل عن التحذير بمرارة من محاولات تفسيرية يقوم بها من «**لم يصلوا بعدُ إلى المستويات العالية من النضوج العلمي»**[٣]. وإذا حصل اقتحام لميدان التفسير، خصوصاً إذا كان لغايات وأهداف مشبوهة «**فلا ينبغي لشبابنا أن يولوا أهميةً، أو يقيموا وزناً لمثل هذه التفاسير»**[٤]. قال ذلك لما تصدى بعض قيادات منظمات سياسية ذوي خلفية يسارية وبعض الأشخاص الليبراليين لتفسير القرآن في الأيام الأولى لانتصار الثورة الإسلامية، الأمر الذي دفع به قدس سره على كثرة مشاغله إلى إلقاء دروس في التفسير[٥]، لإشاعة الثقافة القرآنية الأصيلة من جهة، ولكشف زيف أولئك الجهلة من جهة أخرى. حال للأسف دون مواصلتها مرضُهُ الذي ألَمَّ به.

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٩٣.

(٢) م ن، ص ٩٤.

(٣) م ن، ص ٩٤.

(٤) م ن، ص ٩٤-٩٥.

(٥) نشرت كتفسير للبسملة.

خاتمة

أختم بالإشارة إلى أن الإمام قدس سره سعى جاهداً في أسلمة الحياة، وقد دخل عالم السياسة من بوابة الدين التي فرضت عليه أن يكون نزيهاً في أهدافه، ونزيهاً في آلياته، وشفافاً في كل ما تبناه، لا يريد بذلك غير الحق، فهو يصر عليه أشد الإصرار ما نهض الدليل عنده على أنه الحق، فإذا ثبت له أن الحق غيره، فهو يمتلك الشجاعة للعدول عن رأيه السابق، ليضفي القداسة على الحق حيثما كان.

وما أحوجنا إلى استحضار روحه التقية في واقع كلٍّ منا، لنضفي على هذا الواقع ما يجعله سبباً إلى القرب من الله تعالى، ننشد الحق دائماً، في ما نقول وما نفعل. ولأورد وصيته لطلبة العلم التي قال فيها:

لا تظنوا، أيها السادة، السائرون في طريق الإسلام والعلم، والمتلبسون بلباس الإسلام ولباس الأنبياء، والروحانيون، أن الدراسة تنفعكم بدون أن تكون باسم الرب، بل تضر أحياناً، ويؤدي العلم إلى الغرور في بعض

الأحيان ، وينـزلق الإنسان أحياناً عن الصراط المستقيم بواسطة العلم. وإن الذين اختلقوا الأديان الكاذبة كان أكثرهم من أهل العلم. [كما أن] الذين يدعون إلى الحقيقة أيضاً كان أكثرهم من أهل العلم. فالانحراف كان منذ البداية لعدم اقتران العلم والقراءة باسم الرب. ... قد يكون الإنسان فيلسوفاً أعظم، أو فقيهاً مكرماً بحسب نظر الناس، وصدره مستودع للمعلومات، لكنه ابتعد عن الصراط المستقيم أكثر من الآخرين، لأن القراءة لم تكن باسم الرب، وكلما كبر المستودع زاد وزره وزادت [اشتدت] ظلمته ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ [النور: ٤٠])[1].

إن هذه البنية التحتية العميقة التي تسعى إلى بناء الإنسان الصالح في نفسه المصلح لما حوله ومن حوله، الواعي بذاته وبربه وبالواقع وبالأعداء، والعارف بما ينبغي فعله وتجنبه، هي التي استشعر بسببها الاستكبار العالمي وتوابعه خطورة الثورة الإسلامية ونهضة الإمام الخميني قدس سره وشنَّ عليها، ولا يزال، الحروب الظاهرة والباطنة، مع أنها الثورة الوحيدة، في العصر الحاضر على الأقل، التي كانت، في جميع مراحلها التي مرت بها، سلميةً بكل ما للكلمة من معنى ، فلم تطلق فيها

(١) منهجية الثورة الإسلامية، ص ٢٩١.

من قِبل الثائرين رصاصة واحدة، مع شراسة حكم الطاغية بهلوي وأجهزته الأمنية. وما حصل بعد ذلك من حروب لم تكن هذه الثورة إلا مدافعاً عن النفس لما وقع عليها من عدوان، كما أقر بذلك الجميع.

وأعتقد أن السبب في هذه الحروب أنِ الاستكبار يرى في هذه النهضة وأطروحاتها نسفاً وتقويضاً لبنيانهم الذي بنوا، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠]، وله ﴿ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ﴾ [الروم:٤].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

الفهرس

المحور الأول

المحور الثاني

المحور الثالث